12-01-2014

الشيخ جمال الدين سيروان

لا يقام الحد على النفساء والحامل حتى تضع (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم اغفر لنا يا غفور، وارحمنا يا رحيم، وتب علينا يا تواب، ربنا تب علينا حتى نتوب، اللهم تب علينا توبةً نصوحًا لا ننقض عقدها أبدًا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم برحمتك عمنا، واكفنا اللهم شر ما أهمنا وأغمنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة جمعًا توفنا عند انتهاء آجالنا، نلقاك يا مولانا وأنت راضٍ عنا، وإلى غيرك لا تكلنا، ومن شرور خلقك وشرور أنفسنا سلمنا، يا ربنا سلمنا وسلم لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وسلم لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وسلم لنا آخرتنا التي إليها معادنا، سلمنا يا ربنا من شر الأشرار، ومن كيد الفجار، ومن حر ولفح النار برحمتك يا عزيز يا غفار، نسألك اللهم رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك وعذابك وعقابك والنار، ربنا ألهم نفوسنا تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، تعلم سرها ونجواها، نسألك اللهم رضاك، لا تشغلنا بسواك، فرحنا يا ربنا عند لقاك، نسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك برحمتك يا أكرم الأكرمين، اللهم إنا نسألك يا ربنا يا إلهنا يا خالقنا يا رازقنا يا مولانا يا سيدنا، نسألك وأنت مالك الملك، وأنت مدبر الأمر، وأنت خالق الخلق، وأنت القدير، وأنت على كل شيء قدير، نسألك يا ربنا أن تجعل لنا فرجًا قريبا، ومخرجًا عاجلا، اللهم إنا نسألك يا ربنا وأنت تطّلع علينا، نسألك اللهم أن تكون مع الأيامى، ومع اليتامى، اللهم كن معهم، اللهم احفظهم بحفظك، اللهم إنا نستجير بك ولا نستجير بسواك، نسألك اللهم أن تجعل لنا فرجًا من هذا المأزق يا أكرم الأكرمين، اللهم يا ربنا كن مع أهل الشام، احفظهم بحفظك، واكلأهم برعايتك، اللهم قوهم بقوتك، اللهم أمدهم بمددك، اللهم أعطهم من عطائك، اللهم احفظهم بحفظك، اللهم اكلأهم بعنايتك ورعايتك برحمتك يا أرحم الراحمين، عليك اللهم بعدوك وعدوهم، اللهم عليك بعدو الإسلام، اللهم شتت شملهم، وفرّق جمعهم، وأقلل عددهم، واجعل بأسهم بينهم بقدرتك يا رب العالمين، اغفر اللهم لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولأزواجنا ولأولادنا ولذارينا ولأشياخنا ولذوي الحقوق علينا ولإخواننا الحاضرين والغائبين ووالديهم وللمسلمين أجمعين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

ونحن في غرة ربيعٍ الأنور، ونحن على المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه صاحب الوجه الأزهر، نحن في حضرة هذه الأيام المباركات، وهذه التجليات الطاهرات، نحن في إشراقات الحبيب المصطفى ﷺ، الذي أطل على الكون من خلال عناية الله تعالى بهذه الإنسانية، إذ أن الله تعالى ما بعثه إلا رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. أرسله الله لنا رحمة، ليكون أسوتنا في كل وقت، وليكون مقصدنا في كل زمان، ولأجل أن نتعلم منه كيف ندير الأحداث حين تشتد الأزمات، فالحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام إنما كان يمثّل للبشرية الدواء الناجع للداء المُر الصعب الذي يستولي على الناس، فما من داء إلا وعند المصطفى ﷺ دواؤه، لأن الله تعالى قد تولاه تربية، وقد تعهده تعليمًا ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾. إذن إن النبي ﷺ في حضرته نحن في هذا الشهر المبارك شهر ربيع، الذي ينبغي أن يكون ربيع قلوب، وربيع القلوب إنما تزهر فيه النفوس، بصبر أمام أزمة، بشكر أمام نعمة، كذلكم يكون أمر اتباع المصطفى ﷺ، فحياته عليه الصلاة والسلام ألوان وأطياف، لم تكن حياته على الشكر دائمًا، بل كانت على الصبر أحيانًا، وعلى الشكر أحيانًا، فكان عليه الصلاة والسلام تتلون عليه جميع صنوف الحياة، فتارة يشكر عليه الصلاة والسلام، وأخرى يصبر ﷺ، تأتيه المحن من كل طرف، أتته المحن صلى الله وسلم وبارك عليه منذ أن بدأه الله تعالى بالإكرام باليتم، واليتم إنما هو محنة، ولا يمكن لإنسان أن يقول إن اليتم إنما هو منة من الله تعالى، من حيث كونها نعمة يُنعَم بها على الإنسان، نعمة من خلال الصبر، ولكنَّ اليتيم إنما يعيش حياة بُعده عن أبيه، حياة انفصاله عن أبيه، ذلكم أن الموت كان قد قطع بينهما، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي جعل النبي ﷺ في

يتمه أبًا لليتامى، جعل النبي صلى الله وسلم وبارك عليه في الصراعات التي كانت معه، إنما كان المقياس الذي يقيس الناس به أنفسهم لأجل أن يقتدوا به، وأن يحذوا حذوه ﷺ، ونحن في ربيع نتذكره صلى الله وسلم وبارك عليه، ويجب أن نتذكره، ذلكم أن نتذكره إنما يكون عبادة لله تعالى، لأن تذكر النبي ﷺ إنما هو اتباع له، ما نتذكره ﷺ إلا أنه مبلغ عن الله ما أنزله الله تعالى عليه، ولذلك عليه الصلاة والسلام في منهجية فرحه بالنعمة التي أنعم الله تعالى بها عليه، لما سئل عن يوم الإثنين ﷺ، أيصام يوم الاثنين؟ فماذا قال ﷺ؟ "أجل، يوم ولدت فيه وأُنزِل عليَّ فيه" يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه، إذن إن هذا اليوم الذي جعله الله تعالى منة منه على النبي ﷺ، وجعل منة النبي ﷺ على البشرية جمعاء، لأنه رحمة للعالمين، فالنبي ﷺ وافى تلك النعمة بهذه العبادة، فراح يعبد الله تعالى على منة ولادته ﷺ، ثم جعل مع منة الولادة التي بها أنعم الله عليه وعلى الإنسانية، أن قال وفي هذا اليوم شاء الله تعالى أن يكون هناك التلاقي بين ولادتي الحسية، وولادتي الفكرية والمعنوية والرسالية، فهذا يوم ولدت فيه، وهذا يوم أوحى الله تعالى إلي فيه، إذن هذا اليوم الذي ولد الحبيب ﷺ، يوم مؤصل مؤثل، يوم عظيم مبجل، يوم كريم عظيم، يوم سخي كريم، يوم ينبغي أن تقوم فيه القلوب متوجهة إلى ربها، شاكرة خالقها على نعمة ولادة حبيب الله تعالى، ورسوله الأعظم ﷺ، ولادة الخير، ولادة المنهج، ولادة الفكر، ولادة المثال، ولادة الأسوة، ولادة القدوة، ولادة رسول صلى الله وسلم وبارك عليه، إذن نحن اليوم ينبغي أن تكون قلوبنا مليئة بالبهجة، مليئة بالسعادة، منطلقة بالأمل، لأن النبي ﷺ عاش حياة صراعات كثيرة، وكان ﷺ يولِّد من الصراع الشديد، يولد منه ذلك الصبر الذي يمضي به في الحياة، دون أن تكل منه همة عليه الصلاة والسلام، أمَا رأيتموه ﷺ يؤذى في ذاته الشريفة، يؤذى في ذهنه، يؤذى في عقله، يؤذى في ماله، يؤذى في إخراجه من بلده، يؤذى في عِرضه ﷺ، أما طالت تلك الألسنة رسول الله ﷺ في زوجه أمنا أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها سيدتنا عائشة الصدِّيقة رضي الله تعالى عنها؟ فالنبي صلى الله وسلم وبارك عليه هذه الأحداث التي كانت تحاصره من كل موقف، كان يتصدى لها بذلك القلب الرقيق، بذلك القلب السخي، بتلك النفس المؤمنة المطمئنة، بذلك الخُلق العظيم، الخُلق الذي اصطبغ به ﷺ، النبي ﷺ كان خُلقًا كاملًا، كان عليه الصلاة والسلام كما وصفه الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. لذلك صلى الله وسلم وبارك عليه إنما جعل درجة الصائم القائم للذي حَسُنَ خُلقه، إن الله تعالى ليجعل الرجل بحسن خلقه في درجة الصائم القائم الذي لا يفتُر، فالصائم القائم الذي لا يفتر إنما يعطي الله تعالى صاحب الأخلاق الحسنة درجة ذلك الصائم القائم، ذلكم أن هذه الأخلاق التي نقول عنها اليوم، وخاصةً أمام ما تحاصرنا من أزمات تخنقنا، ما نرى اليوم من آلام تجرحنا، ما نرى اليوم من هذه المشاهد التي تقلقنا، نرى ذلك كله، ولا يمكن لإنسان مهما كان قاسي القلب، ومهما كان شديد النفس، إلا أن يصطرخ قلبه أمام ما يشهد، ولكننا نشهد ذلك بعين الإيمان، وبأخلاق اليقين، وبالرضا بما قدر الله سبحانه، وبالعمل الدؤوب الذي أمرنا الله تعالى به، كما كان ﷺ، فكان صبره صبرًا إيجابيًا، ليس صبر استسلام، ولا صبر يأس، بل هو صبر عمل وأمل، كذلكم كان عليه الصلاة والسلام، ما كان لتلين قناته أمام الأحداث التي تأتي عليه، بل كان يجدد الهمة تلو الهمة، والعزيمة تلو العزيمة، أما رأيتموه ﷺ وقد كُسِرت رباعيته، وشُجِت ساقه الشريفة ﷺ، وتنزت الدماء من وجهه عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك ﷺ إنما تابع الرحلة في أُحد، من أحد إلى حمراء الأسد، فإن الملائكة لم تضع أسلحتها يا محمد، فامض مع أصحابك، فمضى ﷺ غير متوانٍ في أن يكون الصبر مولدًا لطاقة وليس مخمدًا لطاقة، كذلكم كان ﷺ، فنحن اليوم أمام الأحداث والمؤامرات التي تجري علينا من كل طرف، ونرى بأنه قد تآصر الشر من كل مكان، وأرادوا ألا يكون هناك لإنسان الشام وجود، ولكنَّ الله موجود، هم لا يريدون لإنسان الشام وجود ولكنَّ الله موجود، والله سبحانه وتعالى بيده مقاليد الأمور ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾. فهو الذي يعطي، وهو الذي يمنع، فنحن على اطمئنان بربنا، لكن لا بد من أن تتواصل أعمالنا، وأن يشتد أزرنا، وأن تلتحم جهودنا، وأن تتصافى قلوبنا، وأن نكون مترابطين في أعمالنا؛ حتى يرضى الله تعالى عنا، فالله سبحانه ينظر إلينا نظرة رضوانه، فنسأل الله تعالى أن يزيدنا وألا ينقصنا، لذلك النبي ﷺ لما دعا هذا الدعاء المنهجي عليه الصلاة والسلام: "اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأعطنا ولا تحرمنا" الزيادة التي يطلبها الإنسان زيادة الإيمان بعد الإيمان، لأن الإنسان قد تكلُّ همته إن لم تأته عناية الرحمن، فهذه المحن التي تستولي علينا، وتحيط بنا من كل جانب، ربما تفتُّ في أعضادنا، ربما تأخذ من عزائمنا، ربما تفتِّر من طاقاتنا، ولكننا إذا ما جئنا إلى الله ربنا فاستمسكنا بحبله المتين الذي لا يمكن أن يخطئ على الإطلاق، ولا أن يتردد على الإطلاق في عطاء من يمد يده إليه، فما مَدَّ إنسان يده إلى الله فرده ربه تعالى، إن كان المد مدًا منهجيًا، فالمد المنهجي إنما يكون بالدعاء المنهجي، وإنما يكون بالعمل المنهجي، أليس رسول الله ﷺ إنما دعا ولكنه دعا في بدر، إنما دعا هناك ولكنه دعا في الطائف، دعا في الطائف والجراح من قدميه الشريفتين، دعا في بدر في العريش والأعداء في وجهه وهو يقابلهم ﷺ، فنحن سندعو دعاءه ﷺ ونحن في معركتنا، ونحن متقدمون في صفوفنا، ونحن في الصف الأول في كل ميدان من ميادين حياتنا،

الميدان ليس على الإطلاق سيفًا تحمله، إنما الميدان ميدان واسع شاسع لا يمكن أن تحصي له قدرًا، ذلكم أن كل ميدان من ميادين الحياة هو جهاد في سبيل الله، كلمتك جهاد، إغاثتك جهاد، تلبيتك ليتيم جهاد، إقامتك لحقٍ جهاد، وصلُكَ لأخيك جهاد، كل هذا جهاد، جهاد في سبيل الله، لا تظنن أن الجهاد مقصور على أن يكون بسيف تحمله، أو ببندقية توجهها، هذا ضرب من ضروب الجهاد، وقيامك بأمور مسؤوليتك التي تطيقها وتعرفها هو جهاد في سبيل الله، وكذلكم كان النبي صلى الله وسلم وبارك عليه في ألوان حياته كلها، لعلنا في يوم ولادته في قربها ذلكم نحن في اليوم العاشر، أليس كذلك؟ الحادي عشر، نحن في الليلة، ليلة الغراء، الليلة التي أطل منها نور النبوة، نور الحبيب صلى الله وسلم وبارك عليه، نور اليتم، نور اليتم الذي أعطاه الله تعالى هذا الإكرام الإلهي ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

الله تعالى ما ودع حبيبه ﷺ، ولا تركه، ولا قلاه، إنما أعطاه وأحبه وأكرمه، ذلكم أن الله سبحانه وتعالى ذكر ذلك للمصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه، نِعَمًا أفاءها من خلاله علينا، فهذه الليلة الغراء ليلتك سيدي رسول الله، هذه الليلة ونحن نطل إلى قبرك الشريف وأنت في تلك الحضرة النبوية المطهرة حيٌ كما أخبرتنا، أنت هناك تسلم وترد السلام على من سلم عليك، فها نحن إنما نرسل السلام إليك سيدي رسول الله، ونرسل إليك يا سيدي يا رسول الله آهات محبيك، وآلام أولئك الذين يناشون بالسهام لأنهم أحبوك، نسأل الله تعالى لمحبتهم لك أن يجعل لهم فرجًا قريبًا، ومخرجًا عاجلًا، فها نحن نلقي التحية والسلام، عن بُعد في المكان، إليك يا سيدي يا رسول الله، ونحن نعلم بأن ملائكة تنقل سلاماتنا إليك، وأنت ترد السلام على من سلم عليك، فنسأل الله تعالى أن يكون ردك سلامًا على المؤمنين، وأن يكون ردك إن شاء الله فرجًا على المسلمين بفضل منه سبحانه وتعالى.

فنحن اليوم مع الحبيب المصطفى ﷺ، نأتي إلى منهجه الشريف لا ننقص منه ذرة إن شاء الله، ونحاول اتباعه دون أن نضيع منه أي قضية من قضاياه، فنحن اليوم مع فصل جديد فيما كنا نتحدث فيه عن حد من حدود الإسلام، وقد ذكرت بأن الحدود التي جاء بها القرآن الكريم، أو ذكرها النبي العظيم عليه الصلاة والسلام ما كانت عقوبات لتشفٍ في نفوس، أو لشفاء في الصدور، إنما كانت تربية وصياغة لمجتمع، فلا بد إلا أن يكون هناك صياغة لمجتمع كريم، والمجتمع الكريم فيه المخطئ وفيه المصيب، وفيه الإنسان المقدم على الخير، وفيه الإنسان الضعيف النفس، وإلا لو كان هذا المجتمع مجتمع ملائكة كُلِّفوا بعبادة، فلا يمكن أن يخالفوا ما أمرهم الله تعالى به، إلا أن الله ابتلانا، فجعل لنا عبادتنا تمكينًا، ولم يجعل لنا عبادتنا قهرًا، فقد قلت لكم سابقًا إن اللام التي يذكرها الله تعالى في القرآن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. إن هذه اللام ليست لام علة، إنما هذه اللام لام تمكين، لأنها لو كانت لام علة لكان هناك مخالفة بقدرة الله تعالى في نفوذها، وهذا محال عقلًا، هل يمكن أن تخالَف قدرة الله تعالى؟ إذا شاء الله تعالى أن نعبده، وقدّر أن نعبده، فهل يمكن أن يكون لنا قدرة على مخالفة قدرة الله تعالى؟ هذا محال، إذن إذا كانت اللام لام علة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، والله قد قال لنا في القرآن: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. إذن إن الله تعالى قد جعل عبادته لنا قائمة بين أيدينا نقدر على أن نمارسها، نتمكن من القيام بها، ولكنَّ الله تعالى خلقنا لعلة ابتلائنا واختبارنا ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. إذن هذه اللام لام العلة، أي خلقنا الله ليختبرنا، خلقنا الله ليبلونا، هل نحسن العمل أم لا نحسن العمل، فلذلك الله تعالى جعل لنا هذه المائدة مفتوحة، مائدة الكفر ومائدة الإيمان، فمن أقبل على الإيمان نجا، ومن أقبل على الكفر هلك، وجعل لنا اقتدارًا على أن نعبده، وهو التمكين، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. فهؤلاء خلقتهم على هذه الطريقة، وخلقت ملائكة على طريقة أخرى، وهي طريقة القهر والإجبار، فالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكننا نحن قد نعصي وقد نطيع، لذلك الله قال لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. هي القابلية التي فيها إمكان الاستجابة وإمكان الإعراض ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾. لكن الملائكة هل تُعرِض؟ هي مقهورة على القيام بما أمرها الله تعالى به، ولكننا نحن لسنا مقهورين على القيام بما أمرنا الله به، بل نحن جعل الله لنا طاقة الاختيار التي بها نعبده، أو يكون إنسان آخر يرفض هذه المنة الربانية، فيَزوَرُّ عن الدرب، ويعرض عن الحقيقة فتكون النتيجة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾. ما معنى نسيتها؟ تركتها، النسيان هنا بمعنى الترك، النسيان هنا بمعنى الترك، فنسيتها أي تركتها ﴿وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾. تُنسى أي تُترك من أن تكون من أهل الجنة، كذلك تُترك من أن تنالك رحمتي في هذا اليوم، ولكن الذي جاء إلي بقلب منيب تناله رحمتي، لذلك الله سبحانه وتعالى نفى عن نفسه النسيان، تمام؟ ﴿فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾. محال على الله سبحانه وتعالى النسيان، صحيح؟ أما ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾. ليس نسيان هنا، ماذا معنى نسوا الله

فنسيهم؟ هنا تركوا الله وتركوا دربه، فالله تعالى تركهم، وأعرض عنهم، ومن أعرض عن ذكري، فإذن النسيان هنا نسوا الله فنسيهم، أي تركوا درب الله، فالله سبحانه وتعالى أعرض عنهم وأما ﴿فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾. إن الله سبحانه وتعالى هو العليم، وهو الخبير سبحانه وتعالى، هو القائم بعباده، هو رب الأرباب سبحانه وتعالى، هو مجري الأمور سبحانه وتعالى، إذن نحن الآن أمام هذه النعمة الكبرى التي أنعم الله علينا بها، وهي نعمة ابتلائنا في هذه الحياة لنختار سبيل الرشد، فاللهم يا رب اهدنا إلى أحسن الأخلاق، والأقوال، والأعمال، لا يهدينا لأحسنها إلا أنت، هذا الهدى، الهدى اللي دعا النبي ﷺ يقول: اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، والأقوال، والأعمال، لا يهدينا لأحسنها إلا أنت، فنزل المنهج، ماذا بقي علينا؟ الاهتداء، الهدى نزل، ماذا بقي؟ الاهتداء ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾. فإذن نسأل الله تعالى أن يزيدنا هدى فوق هدى، وذلك الهدى هو كما قلت لكم في درس سابق إن عندنا هدى جعليًا، وإن عندنا اهتداء كسبيًا، فالهدى جعلي، والاهتداء كسبي، لذلك الله تعالى قال لنا: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾. فالهدى الذي سيزيده الله تعالى في قلبك هو جعلي تكويني، يجعله الله تعالى منة منه وكرم، فيزيدك إيمانًا ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾. هذا الإيمان اللي زاده الله عز وجل لك بعد أن آمنت، الأول كسبي، والثاني جعلي، واضح ولا في إشكال؟ شوي يعني ها؟ طيب، يعني الجعلي يعني التكويني من الله، الله عز وجل يلقيه في قلبك، لكن لن يلقي الله في قلبك ذلك إلا بعد أن تستجيب لندائه، فهو ناداك لتؤمن به، وأوضح لك السبيل، وعرض لك الطريق، وبعث لك الرسل يا أيها الإنسان عمومًا، ثم ختمهم بسيد الخلق محمد ﷺ، أليس كذلك؟ طيب، إذن أنت لما عرض عليك ذلك، وجعل عندك أدوات الاختيار قائمة ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. فلما كانت أدوات الاختيار قائمة لديك، وأرسل الله عز وجل إعانة لك، بالأدوات التي بين يديك، وبالعقل الذي مكنك منه، ولم يدعك لعقلك فحسب، مع أن عقلك يدعوك أن تؤمن بالله عز وجل بمحاكماتك المحايدة الموضوعية، مع ذلك من رحمة الله عز وجل بك أن لم يدعك لعقلك فحسب، إنما جعل مؤازرة عقلك برسول مصدِّق مصدَّق لأجل أن يقول لك هذا منهاج الله تعالى فاتبعه، واضح تمامًا؟ طيب، إذن أنت أيها الإنسان جاءك العقل الذي يهديك سواء الصراط إن استعملته بطريقة سوية، وجاءك الرسول الذي أنزل الله عليه النور والضياء ليشرح لك السبيل، فإذا بك لما وجدت ذلك اهتديت، فلما اهتديت وهذا أمر كسبي، هذا أمر كسبي بمعنى أنك أنت جئت فقلت آمنت بالله، آمنت، هنا ماذا يكافئك الرحيم الرحمن؟ يزيدك هدى، ويؤتيك التقوى، قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾. لاحظتم بقي؟ توضحت الحكاية تمامًا؟ فإذن هذا الهدى الجعلي التكويني الذي يخلقه الله فيك تكرمًا منه، كما يزيدك إيمانًا، كيف يزيد إيمانك؟ هذا الإيمان الذي يتوهج في القلب فيزداد شعور المؤمن بالحب لربه عز وجل، ولذلك تتفاوت درجات المؤمنين، فدرجة الصدِّيق رضي الله تعالى عنه في القمة العليا، ودونه أصحاب كرام توهجت قلوبهم، ولكن ليست بقلب الصدِّيق، الذي قال المصطفى ﷺ عنه بأنه لم يكافئ الصدِّيق، كل واحد أنا كافأته إلا إيه؟ إلا أبو بكر، الرسول يقول عن سيدنا الصدِّيق والله يعني له يد لا أكافئه عليها، الله أكبر، لأنه رضي الله تعالى عنه كان في وهج الإيمان في القمة العليا بعد المرسلين، بعد المرسلين والأنبياء أبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، إن كان محمد قال ذلك فقد صدق، هذا زادهم هدى، وآتاهم تقواهم، لذلك هذه الهداية الرحمانية، والعطايا الربانية، إنما تأتي القلوب حين تفرغ القلوب من حب الدنيا، فكلما طهر القلب، كلما تغلغل الحب، فالقلب لا يتسع على الإطلاق حب الله وحب الدنيا، القلب بده حب الله عز وجل فحسب، فلا يسع هذا القلب إلا حب واحد، ما في شركة، أنت تقول لا إله إلا الله، هو الذي أعبده، هو الذي أحبه، هو الذي أطيعه، هو الذي آوي إليه، هو الذي إذا أتيته في أي وقت استقبلني، هو الذي إن بكيت بين يديه، وطأطأت الرأس إليه، أعانني، هو الذي أناجيه في أية لحظة فلا يمكن أن يردني، لا يمكن على الإطلاق أن يردك، في أية لحظة، إن جئت في الصباح فأقبِل، وإن جئت في المساء فأقبِل، في أي وقت، في وقت صحوك، في وقت نومك، قم فاستيقظ فهو معك، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾. ما من عبد إلا ويضيق صدره بك، ولكنَّ الله تعالى فتح أبوابه إليك، باب توبته، باب رحمته، باب مودته، باب عطائه، باب سخائه، باب رجائه، كل ذلك مفتوح بين يديك، ويقول لك أقبِل، وليس إذا أقبلت تململت منك، بل أنت إذا جئتني أنت تمشي جئتك أسعى، وإن تقربت إلي شبرًا تقربت إليك ذراعًا، وإن تقربت ذراعًا تقربت باعًا، ومن يأتيني يمشي أتيته هرولة، بمعنى أنك بمجرد أن تقول يا رب، يقول لك لبيك عبدي، لكن قلها وأنت تحب الرب بصدق الحب، وبصدق المودة مع الرب سبحانه وتعالى.

إذن نحن اليوم مع ربنا سبحانه وتعالى الذي أنعم علينا بحبيبنا المصطفى ﷺ، الذي ما كان له إلا أن يُقْبِل على الله لتتورم منه القدمان، ولتقول له تلك الفقيهة الصدِّيقة زوجه الشريفة رضي الله تعالى عنها، ماذا تقول له؟ يا رسول الله أولم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فماذا يجيبها الحبيب الحكيم، الحبيب الرحيم، الحبيب الحليم، الحبيب التقي النقي، الرسول الصدوق، ماذا يقول لها؟ "أفلا أكون عبدًا شكورا" أفلا أكون عبدًا شكورا، فلذلك الله سبحانه

وتعالى إذ أنعم علينا به ﷺ، أنعم علينا بهذه النعمة المسبغة لتعريفنا الدرب، ولتسليكنا المنهج، ولذلك جعله الله تعالى الأسوة والقدوة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾. فهو أسوة لهؤلاء، أسوة لهؤلاء، ولكنَّ المعرضين لا يكون رسول الله ﷺ أسوتهم، يكون أبو جهل أسوتهم، ويكون عبد الله بن أُبَي أسوتهم، فاجعلوا رسول الله ﷺ أسوتكم، وأسوتكم، إمامكم، قدوتكم، منهجكم، نوركم، سعيكم، طريقكم، دربكم إنما هو الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه، فاللهم ارزقنا في هذه الدار حبه، وارزقنا يوم القيامة قربه برحمتك يا أرحم الراحمين، وبشفاعة منه ﷺ ننال من خلالها إن شاء الله حظوة بين يدي الرحمن بمنة منه سبحانه وتعالى إنه سميع قريب مجيب، إذن النبي ﷺ هنا، بالحدود التي ذكرت بأنها ما جاءت الحدود انتقامًا ولا تشفِّيًا، إنما جاءت الحدود تربيةً، وتعليمًا، وتوجيهًا، وصياغةً، وإتيانًا بالإنسان المعرِض عن الدرب للقرب من الرب، كذلكم كانت الحدود في الإسلام، ولذلك جاءت العقوبات كما ذكرنا فيما سبق بأن هذه الحدود إنما كانت زواجر وجوابر، زواجر لأجل أن تزجر، ولطالما تزجر الإنسان بينه وبين الله، فلا ينبغي له أن يقره بينه وبين الناس، الله تعالى طالما ستر مسلمًا فليستر نفسه، فلا ينبغي له أن يفضح نفسه فيما ستره الله تعالى به، إذن ما المقصود من هذه الحدود؟ فيما لو أن الإنسان جانَب الصواب، واقترف الإثم، وعالن بالذنب، حينئذ لا بد من أن يقام عليه حد، يكون تربويًا له وتربويًا لغيره، لذلك هنا يقال لكن أقل الحد، وثبت الحد بعد كل الذي ذكرته أنا فيما سبق من الشروط التي ينبغي أن تقام في الحد، حتى إن الحد لا يمكن أن يقام بهذه الطلاقة، الحد لا بد إلا أن يكون عندنا ضوابط قائمة لإقامته، إذ تدرأ الحدود بالشبهات، طالما أن هناك شبهة تقوم على الحد فالأصل إلغاؤه وليس إثباته، الأصل إلغاء الحد مو إثبات الحد، ليس الأصل إثبات الحد، ادرؤوا الحدود بالشبهات، طالما في شبهة فالحد يدرأ، إذن قام الأمر، وثبت الشأن، وجاء الشهود، ولا بد من إقامة الحد، هل نأتي لأجل أن نشفي الصدور؟ أم نأتي والعيون تدمع، والأيدي ترتجف، والقلوب تدعو لهذا الذي ابتلي هذا الابتلاء؟ هكذا كان رسول الله ﷺ، كان يقيم الحد وقلبه الواجف، ونفسه المرتجفة، ويده المضطربة، وعينه الدامعة، ثم ليشهد لهذا الذي كان شهيد توبته، كما كانت هذه السيدة التي سنتحدث عنها، كانت شهيدة توبتها، شهد لها بأنها تابت توبة لو وُزعت على سبعين من أهل المدينة لكفتهم، إذن إنها قامت بهذه القضية الإيمانية التي اعتمدت فيها نفسُها، فإذا بها أقبلت لإقامة الحد عليها.

هنا بيقول النبي ﷺ: "لا يقام الحد على النفساء والحامل" إذن هذه النفساء وهذه الحامل والعياذ بالله في نفاس، وقد ثبت عليها هذا الحد والعياذ بالله وهي نفساء، يعني قامت بهذا الأمر قبل أن تكون نفساء، وثبت عليها الحد بذلك، بمعنى أنها إما أنها أقرت، أو أنه جاء أربعة شهود، أليس كذلك؟ هذا الحد لا يثبت إلا بذلك، وذكرنا هذا بالتفصيل سابقًا، لكن لما ثبت الحد كانت في نفاس، يعني هي فعلت ما فعلت والعياذ بالله ،إما من الزنا، ولا من غير الزنا بهذا النفاس، هل يقام الحد عليها؟ لا يقام الحد عليها في هذا الوقت، لأن هناك ضررًا عليها بالنفاس، ضرر عليها وضرر على ولدها، سلا نفاس عم نقول، على ولدها، ضرر عليها وعلى ولدها، فندعها حتى تكتمل صحتها، ويستوي أمرها، وليس الأمر هو أن نزيدها إرهاقًا فوق إرهاقها، كذلك إن كانت حاملًا، فيقول هنا: خطب علي رضي الله تعالى عنه، فقال: أيها الناس، أقيموا على أرقّائكم الحد من أحصن منهم ومن لم يحصن، فإن أَمَةً لرسول الله ﷺ زنت، فأمرني أن أجلدها، فإذا هي حديثة عهد بنفاس، فخشيت إن جلدتها قتلتها، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: "أحسنت" شايفين التربية؟ ما قلوا أين أنت اضربها لنقتلها، امحقها، اسحقها، لا، قال: أحسنت، أحسنت يا علي، شوفوا اللي رُبِّي عند المصطفى ﷺ، وصيغ هذه الصياغة سيدنا علي رضي الله عنه أول فتى آمن في الإسلام، فلما صيغ هذه الصياغة، وأوكل به الرسول عليه الصلاة والسلام القيام بهذه المهمة، ما قام بهذه المهمة معطِّلًا عقله، قام بهذه المهمة وهو ينظر نظرة الإسلام في مقاصده العظمى، لذلك يا شباب لما توكَّلون بمهمة ينبغي أن تُعمَل عقولكم وألا تخمل، وأن يكون عندكم في هذه العقول نظرات تأملية فيما تفعلون، ليست القضية عبارة عن تنفيذ، نفِّذ ثم اعترض، هذا جبروت وطاغوت، هاد اللي بيساووه هاد تبع العسكر، مو هيك بيقولوا؟ نفذ ثم اعترض، ما في عندنا نفذ ثم اعترض، فلا شك أن الأمر ينبغي أن ينفذ، ولكن إذا كان ثمة ما يقتضي أن يوقَّف هذا الأمر وأن أعرضه على من أولاني هذه المسؤولية، فأعرض، هذا كُلِّف الرسول ﷺ، أنه روح هذه أقم الحد عليها، التكليف ممن؟ من رسول الله ﷺ، ماذا يفترض لسيدنا علي رضي الله تعالى عنه؟ التنفيذ، التنفيذ ويرفع رأسه هكذا أنا أنفذ، ذهب فرأى امرأة نفساء، مريضة، ضعيفة البدن، وليدها إلى جنبها، فرأى بأن الإسلام ما جاء لأجل أن ينتقم، جاء الإسلام لأجل أن يربّي، الحد للتربية لا للانتقام، لذلك رضي الله عنه قال والله أتوقف، وآتي رسول الله ﷺ، جاء للرسول عليه الصلاة والسلام، فعاتبه نبي رسول الله ﷺ، لماذا لم تنفذ؟ أقيموا عليه الحد؟ اسجنوه لأنه لم ينفذ هذا الأمر، ماذا قال له؟ "أحسنت" أحسنت في حسن نظرك، شجعه على القيام بالمسؤولية ضمن مقاصدها، فمقاصد الإسلام هي التي تحكم الأحكام، ليس الحكم الشرعي في نصه، الحكم الشرعي في مقصده،

فالمقصد هو الذي ينبغي أن يراعى، فرجع سيدنا علي من فقهه إلى أولي الأمر لأجل أن يسألهم، ما اجتهد هذا الاجتهاد من نفسه دون أن يرجع لأولي الأمر، إذن إن هناك علاقة عضوية تتضح من خلال تنظيم إداري محكم، ومن خلال أخلاق سامية قائمة في نفوس المطبقين، إذن تأتي الأخلاق والقيم وتأتي الإدارة ضمن الضوابط، فسيدنا علي رضي الله تعالى عنه قام لينفذ، رأى ما يقتضي أن يوقف التنفيذ، رجع إلى رئيس الإدارة، رئيس البشرية ﷺ، فقال له أحسنت فيما صنعت، فكان هذا حكمًا انطلق من خلال ذلك، والنبي صلى الله وسلم وبارك عليه قد يبدو أن هذه الحادثة كانت قبل حادثة المرأة الغامدية، يبدو لي أن هذه الحادثة كانت قبل من حادث المرأة الغامدية، لأنه لو كانت حادثة المرأة الغامدية قبل هذه، لكان عندنا قياس عليها، أليس كذلك؟ أما لما كانت حادثة المرأة الغامدية متأخرة عن ذلك، سيدنا علي رضي الله تعالى عنه بادر ليسأل من خلال ذهنه المتوقد رضي الله تعالى عنه طيب.

عن عمران ابن حصين رضي الله تعالى عنه، أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلى من الزنا، فقالت: يا نبي الله أصبت حدًا فأقمه علي، فدعا نبي الله ﷺ وليَّها، شيء يعني يمزق القلب، هل يمكن لولي أن يقبل؟ شوفوا الآن الثأر والشرف والذي يقوم الآن في بعض القبائل اليوم بالأردن ولا بغيره، الثأر والشرف والقتل والذبح وإلى آخره، بغير الشريعة، فدعا رسول الله وليّها، في هذا العصر، في العصر الذي نعرف فيه أنه كان العصر عصر قبائل، وعصر عصبية، وعصر صعوبات ذهنية، مع ذلك صاغهم الرسول عليه الصلاة والسلام نعم، فدعا رسول الله ﷺ وليّها، فقال: "أحسِن إليها" مو روح حطا والله، أحسِن إليها، أحسِن، أحسِن إليها، كلمة أحسِن ها انتبهوا للمقاييس، ما قال خذها يعني حتى يعني ضعها في بيتك، احجر عليها، قال: "أحسِن إليها" سامعين يا شباب؟ لأنها جاءت فأقرت، فهذا الإقرار يعتبر بأنه مكرمة منها، تابت، فعلي أن أراعي حالها، وأن أكرم شأنها، وأن أحسِن إليها، لا أن أندد بها، ولا أن أزدريها، أحسِن إليها، أحسِن، فإذا وضعت فأتني بها، فَفَعَل، ففعل، ففعل، جاءه أمر الرسالة ففعل، فإذا جاءنا أمر الرسالة ماذا ينبغي أن يكون عندنا؟ أبا خالد، إذا جاءنا أمر الرسول ماذا نقول؟ لبيك رسول الله، جاءنا أمر القرآن؟ لبيك يا الله، جاءه أمر الرسول، تعال أنت وليّها؟ نعم، والحادثة تخفض الرأس ولا تعلي الرأس؟ في ظاهرها خفض للرأس، في حقيقتها رفع للرأس، أخطأت، وكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، ومن ذا الذي يعصم نفسه من خطأ؟ من؟ من يقول أنا معصوم من الأخطاء؟ من؟ فكون ابتليت هذه وأقرت، إذن ارتقت في مقام توبتها إلى أن يرفع رسول الله رتبتها، وأن يأتي لوليها ليقول له في البيئة التي تفضل الشيخ عبد الله الآن، في البيئة التي ترى بأن الأنثى إنما هي بلية من البلايا، ورزية من الرزايا، والوأد نتيجتها، حتى لا يُعيَّر بها أبوها، أليس كذلك؟ فإذا به يقول لوليّها خذها أحسِن إليها، فإذا وضعت فأتني بها، ففعل، فأمر بها نبي الله ﷺ بعد ذلك، في رواية أخرى بأنه ردها لما جاءت بوليدها حتى ترضعه، فلما أتمت رضاعه، فحتى صار يأكل كسرة الخبز، أتى بها النبي ﷺ وأقام الحد عليها، فيقول: فشُكِّت عليها ثيابها، المقصود بالشك هنا الاتصال، يعني رُبطت المرأة لئلا ينكشف شيء من، ثم أُمِر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر هون سيدنا عمر بقى العاطفة، والرابط القديم، تقوم طبعًا الروابط العادات القديمة اللي قبل ما الإنسان تكون عنده ضوابطه الإسلامية تقوم، فقامت عند سيدنا عمر، فقال له عمر رضي الله عنه: تصلي عليها يا نبي الله؟ هذه المرأة يعني شيء يمزق القلوب، امرأة زانية تصلي عليها يا رسول الله؟ تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال: يعطيه ذلك المقياس الودود الشفيف، مقياس النبوة، مقياس الإسلام "لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها الله تعالى؟" في أعظم من هالتوبة؟ يعني اعتبر النبي أنه هالتوبة هي من أعظم أنواع التوبة، بأنها جادت بنفسها لله تعالى، يعني تراها مجاهدة في سبيل الله، اعتبرها مجاهدة في سبيل الله، فباب التوبة مفتوح، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفتح علينا باب توبتنا، وباب أوبتنا، وباب إنابتنا، وباب الإقبال عليه، إنه السميع القريب المجيب.

نسأل الله تعالى أن يعطر لنا قلوبنا بمولد نبينا حبيبنا محمد ﷺ، ويجعل يوم مولده إن شاء الله يوم فرج، وحبور، وسرور على جميع المسلمين، وعلى أهل الشام خاصة، وعلى أهل العراق خاصة، برحمته، ومنِّه، وجوده، وكرمه، إنه سميع قريب مجيب.

والحمد لله رب العالمين.